

## الهوامش والمصادر والمراجع

- 1 - سورة الرحمن - الآية: 1-4.
- 2 - يقول د/موريس الفرنسي : القرآن افضل كتاب اخرجته العناية الأزلية لبني البشر.
- 3 - (13) الاسلام والانسان المعاصر-فتحي رضوان- سلسلة اقرأ- عدد 406.
- 4 - سورة الاعراف - الآية: 175-176.
- 5 - الاسلام دعوة عالمية للعقاد (كتاب الهلال عدد 237-نوفمبر 197.
- 6 - الانسان في القرآن الكريم للعقاد-طبعة هيئة الكتاب العامة-مصر- مكتبة الأسرة.
- 7 - سورة النساء - الآية: 58.
- 8 - سورة النحل - الآية: 90.
- 9 - سورة الاعراف - الآية: 96.
- 10 - 133 من هدي القرآن -أمين الخولي- القاهرة.
- 11 - المتنبئون بالسقوط-مقال لرمضان لأوندى-البلاغ الكويتية عدد 27 رمضان 1970.
- 12 - سورة يونس - الآية: 24.
- 13 - راجع : الحضارة الاسلامية، والرسالة والمدينة الغربية، وهما للمودودي.
- 14 - راجع : المثل الأعلى للحضارة العربية لمحمد البهي.
- 15 - راجع : شمس العرب تسطع على الغرب تأليف هونكة، ونحن والحضارة الغربية للمودودي، والحضارة الغربية لمحمد محمد جسين.
- 16 - عالمية الاسلام -انور الجندي- سلسلة اقرأ- العدد 426.
- 17 - عالمية الاسلام -تنور الجندي-سلسلة اقرأ- العدد 426.

## الآزمة الإنسانية المحاصرة بين التوراة والقرآن

د/ عبد الحليم عويس  
مستشار رابطة الجامعات الإسلامية  
- مصر -

تعد كلمة الحقوق من الكلمات التي تحتاج الى ضبط، ليس مجرد أنها تستغل استغلالاً منحرفاً، سواء معها أو ضدها-فحسب، ولكن لأنه لا توجد في الحقيقة حقوق بلا واجبات، إذا كانت هناك أهلية للحياة، وقدرات تسمح بالعطاء المتبادل، فالطفل يتمتع بحقوق فقط بدون واجبات في مرحلة الطفولة، لكن تبقى ثمة واجبات عليه ان يدفعها عندما يستطيع العطاء، فكأن طفولته دين يدفعه في شبابه...ومن هنا قسم الفقهاء والقانونيون الحقوق الانسانية الى نوعين :

**النوع الأول :** حقوق ترجع إلى اصل إنسانيته، لا يختلف فيها إنسان عن إنسان، ولا أبيض عن أحمر، ولا ذكي عن خامل، وهي حقوق تكفل للإنسان منذ ولادته، ويضاف الى هذا النوع من الحقوق ... حقوق تتصل بضرورة توفير العدل والمساواة في معاملة الانسان-كل إنسان- إمام الشريعة الواحدة العادلة.

والنوع الثاني من الحقوق، حقوق يتميز فيها انسان عن إنسان، وهذه الحقوق تكون حقوقاً في مقابل (واجبات).. وكما أن (المساواة) في النوع الأول من الحقوق واجبة، ولا تصلح إلا بها، فإنه لا بد من (التمييز والتباين) في النوع الثاني، ولا تصلح الحياة إلا بذلك مهما وهم الواهمون. (1)

والخلط بين المستويين فيه خطورة كبيرة، وهذا الخلط هو الذي دفع كثيراً من المفكرين، وعلى رأسهم -مالك بن نبي- على أن يركزوا على ربط الحقوق بالواجبات من جانب، وعلى الاصرار على أن تسبق الواجبات الحقوق من جانب آخر، فلا حقوق بدون واجبات، اللهم الا إذا لم تتوافر مؤهلات الحياة الفاعلة، كمرحلة الطفولة، وكالمعوقين!!

وقد اعطى الاسلام لكل مستوى من المستويين حقه المنضبط قانونيا، والمرتبط بالامر الشرعي الذي يترواح بين الثواب والعقاب، ففي المستوى الاول يقول القرآن : «ولقد كرمنا بني آدم»<sup>(2)</sup> ويقول : «لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم»<sup>(3)</sup>.

وفي المستوى الثاني يقول القرآن : «وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون»<sup>(4)</sup> ويقول : «من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها»<sup>(5)</sup> ويقول : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»<sup>(6)</sup>.

### **التوراة وتشويه الله والانبياء والدعوة للجنس :**

تبدو الحياة الدنيا في التوراة قاتمة سوداوية.. أن كل شيء فيها يميل الى الابتذال والعنف والهبوط... وكل شيء فيها صعب وشاذ... ولايكاد الإنسان يجد أحدا يلجأ اليه، ولا أملا ينتظره، ولا رجاء في هذه الدنيا ولافيما وراء هذه الدنيا، فصورة الآخرة والجنة صورة غائمة غير محددة الملامح... وحتى الدين اليهودي ليس مفترحا للجميع.. أنه مغلق أمام الناس لأنه دين خاص، له إله خاص، وله أنبياء مخصوصون، وله شعب خاص، هو شعب الله المختار....!!

- وحتى الله - سبحانه وتعالى - ليس ملاذا للمستضعفين، ولا ملجأ للابرياء والتائبين، وليس ربا للعالمين يعولهم ويوكلهم برعايته، بل هو رب الفغالى غضوب قاس.. قلما يعرف الرحمة... بل قلما يعرف (العدل) اذا صدقنا روايات التوراة حول الابدات الجماعية، التي يؤخذ فيها أبرياء كثيرون بذنب واحد فقط ارتكب خطيئة ما.

وعندما كان موسى يمر في طريقه الى أرض كنعان أمره الرب قائلا : (متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التي أنت داخلها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك : لاتقطع لهم عهدا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم.<sup>(7)</sup>

ومن العجيب أن شهوة القتل والتدمير لا تصيب هذا (الرب الاسرائيلي) في حالة الحرب فقط، بل اذا كان السلام انتابته هذه الشهوة، ففتش عن مبرر

للقتل، فتذكر قوما مر بهم شعب اسرائيل الى كنعان، وكانوا قد انزلوا اصابة جسيمة بالعابرين الغزاة، وهذا واجبهم، فقال رب الجنود : « اني افقتدت ما عمل عماليق بإسرائيل، حين وقف له في الطريق، عند صعوده من مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرمو كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامراة، وطفلا ورضيعا، بقرا وغنما، وجملا وحمارا ». (8)

ومع ذلك فهذا الرب لا يملك كل مقومات الربوبية، فكثيرا ما تردد ورجع في قراراته بعد ان شعر بأنه تعجل في اتخاذ القرار، فعندما يشرك نبي الله سليمان بهذا الاله، ويعبد الهة نسائه، يهدده الرب بأن يمزق مملكته، ثم يتراجع قائلا : الا اني لا فاعل ذلك في ايامك من اجل داود ابيك، ثم يتراجع تراجعا آخر فيعلن انه لن يمزق المملكة كلها، بل سيعطي سبطا واحدا لأبيك لاجل داود عبدي ولأجل اورشليم التي اخترتها...!! (9)

- هذا هو اله التوراة.. اله اسرائيل (يهوه) الذي نشأ الها بدويا ثم نما وتطور!!

- لقد كان تأثير التوراة خطيرا بالنسبة لمجموعة رواياتها عند ذات الله سبحانه وتعالى، إن الله يبدو في التوراة إلهًا يندم ويتوب ويتعب ويستريح ولا يعرف خطيئة آدم إلا بعد ان يسمع حفيف الاشجار في الجنة، ويستنتج أن آدم يختفي وراء الاشجار لأنه ارتكب شيئا ما، وهو إله يعتذر لبني اسرائيل عن خطئه في حقهم ويتنسم رائحة الشواء فيقبل التوبة لأن رائحة الشواء أعجبتة، فضلا عن أنه إله خاص وليس ربا للعالمين.

- كما كان تأثيرهما خطيرا بالنسبة لحديثها عن ذوات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وقد كان لهذه الاساءات لله ولرسله اثارها السيئة على الفكر الانساني بعامة، والفكر الاوربي والسلوكيات الاوربية بصفة خاصة، ولعلها كانت وراء النزوع اللاديني والنزاعات الانحلائية واللااخلاقية التي تهيمن على روح الحضارة الامريكية الاوربية المعاصرة!!

- ان سفر (راعوث) وقصة (باستير) في السفر لمعنون بهذا الاسم (سفر باستير) واخيرا سفر (نشيد الانشاد)...

ان هذه الأسفار بخاصة كانت ذات تأثير سلبي مدمر للأخلاق الاجتماعية في الحياة الاوربية؛ ذلك لان هذه الاسفار مليئة بالمبازل الاخلاقية التي تصل الى درجة الحث على الرذيلة... ومع هذا فهي تدخل في المنظومة العبادية والدينية عند اليهود والنصارى. لأنها جزء من العهد القديم الذي يؤمن به اولئك وهؤلاء!!

- ان هذه الاسفار تتضمن دعوات صريحة للهبوط والابتذال، حتى في مستوى الالفاظ والتشبيهات السافرة الجريئة التي تضمنتها!!

- ولنقتطف هذه الايات من (سقر راعوث) لنعرف كيف ان نعمى تحث زوجة ابنها الميت ان تذهب الي قريبها (بوعز) الغني لتبيت معه، حتى تكسب ماله وقلبه ومن ثم يتزوجها... نقول التوراة. (10)

- «وقالت لها نعمى حماتها : يا بنتي الا التمس لك راحة ليكون لك خير فالآن الي س بوعز ذا قرابة لنا الذي كنت معه فتياته. ها هو يذري بيدر الشعير الليلة، فاغتلي وتدهني والبسي ثيابك وانزلي الى البيدر، ولكن لا تقربي عند الرجل حتى يفرغ من الاكل والشرب، ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي... وهو يخبرك بما تعملين(!!) فقالت لها : كل ما قلت اصنع.

وفي (سفر استير) يتحدث السفر عن الملك (احشوبروس) الذي كان كملك الف ليلة وليلة، يختبر البنات العذروات بأن ينام معهن ليختار في النهاية احدهن زوجة له... وعن طريق هذا الملك نجحت الفتاة اليهودية "استير" بمساعدة عمها "اردخاي" في ان تستولي على قلبه، وان تجعله يقتل من قومه خمسة وسبعين الفا كانوا اعداء لليهود في رأيها ورأى عمها مردخاي... تقول التوراة « فقال غلمان الملك الذين يخدمونه : ليطلب للملك فتيات عذارى حسنات المنظر، وليوكل الملك وكلاء في كل بلاد مملكته ليجمعوا كل الفتيات

العذارى الحسنات المنظر الى شوشن القصر الى بيت النساء الى يد هيجاي  
خصى الملك حارس النساء وليعطين ادهان عطرهن، والفتاة التي تحسن في  
عينى الملك فلتملك مكان وشتي، فحسن الكلام في عيني الملك فعمل هكذا. (11)

#### - وتقول التوراة مكملة القصة :

« ولما بلغت نوبة فتاة ففتاة للدخول الى الملك احشوبروكس بعد ان يكون  
لها حسب سنة النساء اثنا عشر شهرا لأنه هكذا كانت تكمل ايام تعطرهن ستة  
اشهر بزين المر وستة اشهر بالاطياب وادهان تعطر النساء، وهكذا كانت كل  
فتاة تدخل الى الملك، وكل ما قالت عنه اعطى لها للدخول معها من بيت النساء  
الى بيت الملك في المساء دخلت وفي الصباح رجعت الى بيت النساء الثاني الى  
يد شعشغار حثيني الملك حارس السراري. لم تعد تدخل الى املك الا اذا سر بها  
الملك ودعيت باسمها. » (12)

- ثم تنتهي التوراة الى النتيجة الدموية التي يسعى اليهود اليها  
دائما... فتقول : « ثم اجتمع اليهود الذين في شوشن في اليوم الرابع عشر ايضا  
من شهر أزار وقتلوا في شوشن ثلاث مئة رجل، ولكنهم لم يمدوا ايديهم الى  
النهب، وباقي اليهود الذين في بلدان الملك اجتمعوا ووقفوا لاجل انفسهم،  
واستراحوا من اعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا. » (13)

- هذا ما ورد عن راعوث واستير.... اما (نشيد الانشاد) فهو سفر كامل  
في تعليم الجنس الفاضح، والادب المكشوف، ومن المستحيل نقلا وعقلا ان ينسب  
هذا الكلام الى النبوة والانبياء عليهم فضلا عن سليمان بن داود النبي  
الصالح عليه السلام...

وتقتطف من سفر (نشيد الانشاد) هذه النصوص.... تقول التوراة : (نشيد  
الانشاد الذي لسليمان...

ليقبلني بقبلات فمه لان حبك اطيب من الخمر، لرائحة ادهانك الطيبة  
اسمك دهن مهراق. لذلم احبتك العذارى. اجذبني وراءك فتجري. ادخلي الملك  
الى حجاله، نبتهج ونفرح بك، تذكر حبك اكثر من الخمر، بالحق يحبونك. (14)

«صوت حبيبي، هوذا أت طافرا على الجبال قافزا على التلال، حبيبي هو شبيه بالضبي ار بغفر الاياثل، هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص من الشبابيك-اجاب حبيبي وقال لي قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالى-لأن الشتاء قد مضى والمطر مر وزال». (15)

«وفي الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وحدته، اني اقوم واطوف في المدينة في الاسواق وفي الشوارع اطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته، وجدني المرس الطائف في المدينة فقلت ارايتم من تحبه نفسي، فما جاوزتهم الا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم اركه حتى ادخلته بيت امي وحجرة من حملت بي، احلفكن يا بنات اورشليم بالضباء وبأياثل الحقل الا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء». (16)

«ها انت جميلة يا حبيبتي ها انت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك، شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد، اسنانك كقطيع الجوائر الصادرة من الغسل اللواتي كل واحد متيم وليس فيهن عقيم، شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خدك كفاقة رمانة تحت نقابك، عنقك كبرج داود المبني للاسلحة، الف محب علق عليه كلها اترأس الجبابرة، ثدياك كخشفتي ظبية توأمان يرعيان بين السوسن الى ان يفيح النهار وتنهزم الظلال اذهب الى جبل المر والى تل اللبان، كلك جميل يا حبيبي ليس فيك عيبة». (17)

«حبيبي ابيض واحمر، معلم بين ربوة، رأسه ذهب ابريز، قصصه مسترسلة حالكة كالغراب، عيناه كالحمام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وقبيهما، خداه كخميلة الطيب واتلام رياحين ذكية، شفتاه سوسن تقطران مرا مائعا، يدها حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد، بطنه عاج ابيض مغلف بالياقوت الازرق. ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز طلعتاه كلبنان، فتى كالارز، حلقه حلاوة وكله مشتھيات، هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات اورشليم». (18)

لقد عمدنا الى الاطالة في نقل هذه النصوص التي يتعبد بها على المستويين اليهودي والمسيحي-لنعرف الجذور الفلسفية والفكرية والادبية، التي وصلت بالحضارة الاوربية الآن في نظرتها الى الجنس، والى المرأة الى المستوى المعروف، الذي مثلته-وبخاصة في عهد الرئيس الامريكي "بيل كلنتون"-مؤتمرات دولية في غاية التدني الاخلاقي، ما كان يتصور عقلا مع هذا التطور المادي ان تنحدر الانسانية اليها، حيث جاءت هذه المؤتمرات لتجعل العلاقات الشاذة قواعد راسخة يحميها القانون؛ بل لتطور الامور الى تقنين اللواط والسحاق.

ان هذا التطور الذي انتهت اليه البشرية في نهاية الالفية المسيحية الثانية وبداية الثالثة... يعد ثمرة طبيعية لفكر ديني يقوم على هذه الاباحية وهذا الادب المكشوف!!

ولا يقف الامر عند هذا المستوى الذي يكاد يكون في اطار بشر عاديين، وربما يجد من يبرره، ويدافع عنه على هذا الاساس، لكنه الامر يتعدى ذلك الى الانبياء الذين ارسلهم الله ليكونوا قدوة للبشرية في خشية الله ومراقبته، وفي الالتزام بالاخلاق الكريمة والعفة الجنسية على رأس هذه الاخلاق!!

ان نبي الله لوط -عليه السلام- في نظر كتاب التوراة... ومن خلال سفرها الاول، الذي يعد افضل اسفارها رجل زان... وزان بابنتيه بعد ان اسكرتاه، ومن هذا الزنا المصحوب بالسكر انحدر جزء كبير من الانسانية.

فإن ابنتيه اشفقتا على مصير الانسانية، فقررتا الزنا مع ابيهما نبي الله لوط -عليه السلام - حتى لا ينقرض الجنس البشري، وهكذا تبرر الغاية الوسيلة!!

### تقول التوراة :

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف ان يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة ابونا قد شاخ



وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الرض. هلم نسقي ابانا خمرا ونضطجع معه، فنحیی من ابینا نسلًا. فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع ابیها، ولم یعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع ابي، نسقيه خمرا الليلة ایضا فادخلي اضطجعي معه فنحیی من ابینا نسلًا. فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ایضا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم یعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من ابیهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مواب. وهو ابو الموابیین الى اليوم، والصغيرة ایضا ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي. وهو ابو بني عمون الى اليوم».(19)

### **ویرلق فولتیر علی هذا النص بأسلوبه الساخر قائلا :**

**ولكنها تقول لنا :** ان لوطا اخترق عذرية ابنتیه دون ان یلحظ دخولهما علیه او خروجهما من عنده. بید انه یصعب كثيرا علی الرجل ان یفرض بکاره فتاة دون ان یعرف شیئا عما فعل... انه حدث لا نستطیع ان نجد له تفسیرا!!!

ولیس مفهوما. ایضا-والحديث لفولتیر- فلو ابنتي لوط علی مصیر الانسانية، فابراهيم كان قد انجب اسماعیل من هاجر، والشعوب كانت منتشرة في كل مكان، وصوغر التي خرجت منها الفتاتان كانت قريبة..... ومن این حصلتا علی الخمر ان لم یکن من الخمرات المحلية؟

-ویشیر فولتیر الى تشابه هذه القصة مع قصة میرا التي ولدت ادونیس من ابیها کینراس. لكن میرا عوقبت عقابا صارما علی جریمتها هذه، بينما نالت ابنتا لوط مكافأة عظيمة من وجهة نظر اللاهوت. فقد اصبحتا والديتين لذرية كثيرة!! (20)

الیس هذا عجیبا من التوراة؟! او بالتعبیر الاصح : من كتاب التوراة الذین لایجیدون فن تکییف الاقوال تکییفا عقلانیا یمكن ان تشم فيه اية رائحة دینیة؟!!

وها هو نبي الله داود-عليه السلام-يرسل قائده يوأب وجنوده ومعهم جندي شهيم عظيم يسمى (اوريا) وجميع بني اسراذيل ليحاربوا بن نعمون، اما داود فقد بقى في اورشليم، وفي المساء قام داود عن سريرته وتمشى على سطح بيته، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت جميلة المنظر جدا، فأرسل اليها داود واخذها ودخل بها.

ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت واخبرت داود، وقالت : اني حبلى...

فأرسل داود الى يوأب يقول ارسل الي (اوريا الحثي) فأرسل يوأب اوريا الى داود...

وقال داود (لاوريا) انزل الى بيتك واغسل رجلك.

فخرج اوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصية من عند الملك، ونام اوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل الى بيته، فأخبرو داود قائلين :

لم ينزل اوريا لداود : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوأب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وانا آتي الى بيتي لأكل واشرب واضطجع مع امرأتي.... وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر!! فيئس داود من التغطية على اثار جريمته مع المرأة.

وفي الصباح كتب مكتوبا الى يوأب وارسله بيد (اوريا) وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيضرب ويموت!!

اي ان داود زنا... ثم دبر قتل زوج المرأة التي زنا بها فلما سمعت امرأة اوريا، انه قد مات اوريا رجلها، ندبت بعلمها، ولما مضت المناحة ارسل دود وضماها الى بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابناء.... واما الامر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب. (21)

والحقيقة انه لا توجد صورة تجمع بين النقيضين مثل الصورة التي تقدمها لنا التوراة عن داود ملك اليهود القدير، فهو الشجاع قاتل جالوت الجبار بمقلعه دون سيف في يده؛ (22) ولهذا يصبح مطاردا من الفلسطينيين، ولكن سرعان ما شاركهم في محاربة عدو لهم ويضع سيفه في خدمتهم ضد اليهود. (23)

وكان داود قد بدأ حكمه تحت قيادة الفلسطينيين، لكنه انهاء بعد ان كان قد قضى على نفوذهم تماما، وهو عدو شاول للداود، ولكنه في الوقت نفسه زوج ابنته، وحبيب ابنه "يوناشان" وكثير من فتيات اسرائيل. (24)

وهو يعمل مغنيا في بلاط شاول، لأنه يجيد الضرب على القيتار، ويغني اغننيه العجيبة بصوته الرخيم، وهو ايضا الفارس المغوار حامل سلاح الملك وقاتل اعدائه.. (25) ويصف ولديورانت هذا الاله التوراتي بأنه اله مضطرب، فهو تارة اله قاس غليظ القلب، كما كان الناس في وقته، وكما كانت قبيلته، ولكنه كان مستعدا لأنه يعفو عن اعدائه كما كان يعفو عنهم فيصير والمسيح... يقتل الاسرى جملة كانه من ملوك الاشوريين، بل انه ليبالغ حتى في قتل النسوة، حتى يأمر بحرق المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار وحين يطلب منه شاول مائة غلفة من الفلسطينيين مهرا لابنته ميكال، اذ به يقتل مائتي رجل من الفلسطينيين ويقدم غلفهم مهرا لابنة شاول... (26)

اما نبي الله سليمان بن داود، فقد كان طبيعيا ان يكون خير خلف لخير سلف... اي ان يكون شهوانيا ودمويا كأبيه داود. تقول التوراة في سفر الملوك الاول مايلى :

«واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات، من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيرات، وثلاثمائة من السراري، فأملت نساء قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان

ان نساءه املن قلبه وراء آلهة اخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه، فذهب سليمان وراء عشتورث الالهة الصيدونيين، وملوكهم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه> حينئذ بنى سليمان مرتفعة لمولك رجس بني عمون، وهكذا افعل لجميع نساءه الغريبات اللواتي كن يوقدن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذي تراءى له مرتين، واوصاه في هذا الامر الا يتبع آلهة اخرى، فلم يحفظ ما اوصى به الرب، فقال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي اوصيتك فاني امزق المملكة عنك تمزيقا واعطيتها لعبدك». (27)

وعندما يقترب داود من الموت يوصي ولده سليمان بأن يحدر بالدم الى الهاوية شيبة (شمعي بن جيرا) الذي كان قد لعن داود وحاول حربه في الاردن، فنصح داود ابنه سليمان ألا يقبل منه اي استسلام وان يحدد شيبته بالدم الى الهاوية، وكانت هذه آخر كلمات داود، ثم اضطجع داود مع آبائه ودفن في مدينة داود. (28)

ونحن نجد في التوراة ان هارون عليه السلام-هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل، ثم امرهم بعبادته. (29)

وحتى يعقوب عليه السلام الذي يعتبره اليهود نبيهم الكبير واليه ينتسبون فإنه لم ينج منهم، فقد زعموا ان نبوته اخذها من اخيه عيسو بحيلة حينما خلع اباه اسحاق، متواطئا مع امه ومستغلا عدم قدرة والده على الاحصار!!

-وفي تعليقه على هذه النداءات التي تمتلئ بها التوراة في حق الانبياء يقول استاذنا الامام الشيخ محمد الغزالي : لقد قرأت صورا لحياة الانبياء في التوراة فوجدت نماذج غريبة للسقوط والدنس تتعزز منها النفس وتتساءل بعد مشاهدتها..... هل يلام الزعاع بعد ذلك على رذيلة؟؟

ان كتاب هذه التواريخ تعمدوا ان يلوثوا حياة هؤلاء الرجال وان يلطخوها بالاووال.

ان كتاب العهد القديم مثال صادق لفكرة اليهود عن الاخلاق والقيم، والناس يتهمون السياسي الايطالي (ميكيا فيللي) بأنه صاحب مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، فالرجل ينقل كلمته عن اسلوب العهد القديم، في تنفيذ الاغراض بأن خطة، واقصر طريق... اما الشرف فشيء في الكتب لا في الواقع... ونحن المسلمين لا نصدق حرفا من هذا الافك، ونصون سيرة الانبياء عن هذا الدنس كله، ولكننا نلقت النظر الى طبيعة المنهج الاخلاقي عند القوم ومن يؤيدهم، ويشد ازهرهم، ويحمي ظهرهم، ويدعن سياستهم وفي العهد القديم تفصيل ما اوجزنا، وما تسبه الرواة الى المرسلين من افك خسيس!!

انهم جميعا كذبة على الله ورسله، وما احسب عيس عندما ينزل الا مقاتل هؤلاء جميعا حتى يطهر الارض من شركهم وافكهم.  
-ان التوراة النازلة على موسى اختفت مع تقلب الزمان ببني اسرائيل، والذي بقى منها هو هذا الميراث المشوب الذي طغى فيه كلام البشر على الوحي الحق. (30)

### **التوراة: من الدعوة للجنس إلى الدعوة للإبادة الجماعية**

-وهكذا من خلال ما عرضنا -بإيجاز- نجد كل شيء مضطربا في التوراة يدعو الى الاستغراق في الدنيوية، والى الاغتراق من الملذات :  
-انه لا توجد قدوة حسنة، فالله الموصوف في القرآن بكل كمال، والمنزه فيه عن كل الشوائب، وله الاسماء الحسنى، وهو الرحمن الرحيم رب العالمين مالك الدنيا، ومالك يوم الدين..... هذا الرب الذي يرعى بأسمائه الحسنى، ويوصف بالكمال المطلق يوصف في التوراة بالنعوت التي لا تليق ببشرا اسوياء عاديين!!

- هذا الاله الكريم العظيم يجعل من رحمته ان يرسل الى الناس رسلا مبشرين ومنذرين.. أئمة للمتقين، لكي لا يكون للناس على الله حجة... فيكون شيئا طبيعيا ان يتصف هؤلاء الرسل -ايضا- بكل كمال، وان يتنزهوا عن النقص الاخلاقي، ويكونوا مثلا عليا في اقدارهم لله حق قدره، وفي معاملتهم للناس، فلا يكون منهم الا السهو والنسيان والخطاء التي لا تتنافى مع الاخلاق، والتي قد تحتمها الطبيعة البشرية من اجل ان يثبت الله للناس انهم بشر، وليسوا الا رسلا وعبيدا له سبحانه وتعالى....

ومع ذلك فهؤلاء الانبياء يوصفون في التوراة بهذه النعوت التي تجعلهم امثلة سيئة ونماذج تدعو الى الرذيلة والصراع والعنف والدموية؟!

ومن هنا يكون شيئا طبيعيا ان تتحول الحياة الى مسرح فوضوي عبثي او "كوميديا" او "تراجيديا" تفتقد المعنى والغاية والقيم الثابتة الصالحة لكل مسيرة التاريخ!!

ويكون طبيعيا ايضا ان تتحول الحياة الى مستنقع حافل بالدماء والخراب... وهذا ما تقودنا اليه التوراة!!

ان النبي يشوع الذي جاء بعد موسى (عليهما السلام) تصوره التوراة اقبح تصوير، فهو سفاح لا نبي، فعندما يدخل اريحا يأمر بقتل كل الناس الا الزانية التي سترت جواسيسه في بيتها، ثم يأمر باحراق المدينة...

تقول التوراة عن يشوع وجيشه :

وحرموا كما ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف [اي قتلوا الجميع].

**وتقول التوراة ان يشوعا اصدر امرا قائلا :**

« واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. انما الفضة الذهب وأنية النحاس والحديد، اجعلوها في خزانة بين الرب. واستحيا يشوع (اي استثنى وعفا)

راحاب الزانية وبیت ابیها وكل ما بها وسكنت في وسط اسرائيل الى هذا اليوم. لأنها خبأت المرسلين اللذين ارسلهما شيوخ لكي يتجسسا اريحا» (31) (اي قبضت ثمن خيانتها)!!

بل ان الابداء الجماعية للابرياء وللأطفال والحيوانات تكون هي الحكم عندما يخطئ أي عضو في العائلة، وهذا ظلم لم يعرفه أي دين او نظام انساني، بل ان الابداء تمتد الى الحيوانات البرية، فعندما أجرى نبيهم يشوع التحقيقات فاعترف المخطئ بخطئه... تقول التوراة :

«فأجاب عخان يشوع وقال حقا : اني قد اخطأت الى الرب اله اسرائيل وصنعت كذا وكذا رأيت في الغنيمة رداء شنعاديا نفسيا، ومائتي شاقل فضة، ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا، فاشتيتها واخذتها» (32)

فماذا كانت عقوبة (عخان) في شريعة التوراة الجديد ؟ :

«فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل معه، وصعدوا بهم الى وادي عخور. فقال يشوع : كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم. فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة واحرقوهم بالنار، ورموهم بالحجارة، واقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم، فرجع الرب عن حمو غضبه، ولذلك دعي اسم ذلك المكان "وادي عخور" الى هذا اليوم» (33)

وايضا بصورة اكثر دموية... تقول التوراة مصورة الهجوم على "عاي" :

«فقال الرب ليشوع : لاتخف ولا ترعب، خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد الى عاي.

انظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وارضه. فتفعل بعاي ولكها كما فعلت بأريحا وملكها. غير ان غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم...» (34) فهنا في (عاي) استثنيت الحيوانات الي لم تستثت في اريحا [وربما تكون لحيوانات اريحا ذنوب لانعلمها...!!] : وضربهم حتى لم يبق منهم

شارد ولا منفلت، واما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به الى يشوع. وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا. ان جميع اسراذيل رجع الى (عاي) وضربوها بحد السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر الفا جميع اهل (عاي) ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرم سكان عاي. لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم حسب قول الرب الذي امر به يشوع.

واحرق يشوع عاي وجعلها تلا ابديا خرابا الى هذا اليوم، وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء، وعند غروب الشمس امر يشوع فانزلوا جثته على الخشبة وطرحوها عند مدخل المدينة، واقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم. (35)

- وفي الاصحاح العاشر من صغر يشوع نجد سلسلة من هذه الابدات الجماعية تمتد مؤكدة لنا ان "اريحا وعاي" ليستا بدعا، بل هما حلقتان في سلسلة دموية لا تنقطع.... تقول التوراة :

(واخذ يشوع "مقيدة" في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم "قتل" ملكها وكل نفس بها لم يبق شاردا، وفعل بملك "مقيدة" كما فعل بملك "اريحا"، ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه الى "لينة". فدفعها الرب هي ايضا بيد اسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها. لم يبق شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا، ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لينة الى لحنيش، ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب ما فعل بلبنة).....

« ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لحنيش الى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش، ثم صعد الى حيرون "الخليل" واخذوها وضربوها بحد السيف مع



ملكها وكل مدنها وكل نفس بها. لم يبق شاردة حسب كل ما فعل بعجلون  
فحرمها وكل نفس بها. وضرب يشوع كل ارض الجبل والجنوب والسهل والسفوح  
وكل سلوكها لم يبق شاردة، بل حرم كل نسمة كما امر الرب اله اسرائيل  
فضربهم يشوع من قادم بريئ الى غزة وجميع ارض جوشن الى جعبون» (36)

انها حرب اباد لا تبقى ولا تذر...!!

وفي الاسفار الخمسة الاولى المجمع على انها من التوراة عند السامريين  
والعبرانيين معا، نجد الاتجاه الدموي مسيطرا بحيث يمكننا القول : ان ظاهرة  
العنف تدخل في صميم نسيج التوراة في كل اسفارها بدرجات متفاوتة، ففي  
سفر التكوين اول اسفار التوراة -يرد مايلي :

« ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل... (37) وفي سفر التثنية : (حين  
تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح، فإن اجابتك فكل الشعب  
الموجود فيها يكون للتخيير ويستعبدك. وان لم تسالك بل عملت معك حربا  
فحاصرها واذا دفعها الرب الى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. هكذا  
تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الشعوب التي  
يعطيك الرب نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما » (38)

وان ما نسبوه الى داود عليه السلام من استباحة لدماء الفلسطينيين،  
لدرجة انه يقتل مائتي فلسطيني، ثم يقطع جزءا من اعضائهم التناسلية  
ليقدمها مهرا.... لايمكن ان يصدر عن نبي يحترم انسانية الغاس، بل ان قطاع  
الطرق ليعفون عن هذه الدموية التي تمتد حتى الى الابرياء من الناس  
والحيوانات!!

- وقد صوروا سليمان عليه السلام بصورة سيئة بشعة، لدرجة انهم  
نسبوا اليه ان ما ذبحه من الثيران والخراف يصل الى اثنين وعشرين الفا من  
الثيران ومن الغنم يبلغ مائة الف وعشرين الف خروف (39)!! وذلك في  
مناسبة تدشين بيت الرب.

## الأثر المعاصر لدعوة التوراة للجنس والعنف:

اننا امام هذه اللوحة التي تقدمها التوراة، سواء بالنسبة لذات الله سبحانه وتعالى، اما بالنسبة للقصص التي تقدم فيها دعوة صريحة للجنس الحرام، ام بالنسبة للانبياء الذين فقدوا القدرة على ان يكونوا نماذج عالية نتيجة ما وصوا به، ام بالنسبة لهذه الصور من العنف والظلم والدموية والوثنية التي تعزى الى الانبياء...

- اننا امام هذه اللوحة التوراتية نستطيع ان نجد التفسير الصحيح لانحرافات كثيرة في التاريخ البشري، جعلت هذا التاريخ ينحرف عن هدي الله، وعن الرحمة والعدل... ويصبح كأنه غابة فيها اسودهم اليهود الذين يفترسون غيرهم من الحيوانات... فيحكمون الغابة بقوانين الغابة.

وهذه اللوحة التوراتية تفسر لنا كثيرا من الحروب الجماعية التي اخذت شكل حروب عالمية بعد ذلك تلقى فيها القنابل على المدن والقرى، فلا تفرق بين شيخ، وطفل ومدني وعسكري!! وكلما انتهت حرب بدأت حرب اخرى، وكلما انتهت حرب مباشرة ظهرت حرب غير مباشرة، واذا لم يكن هناك اعداء حقيقيون.. بحثوا عن اعداء غير حقيقيين، وفرضوا عليهم ان يكونوا اعداء حقيقيين... لماذا؟ لأنه لا بد ان يكون هناك اعداء، ولا بد ان تكون هناك صراعات وحروب، ولا يجوز ان تكون الحياة الانسانية مجالا للحوار والتفاعل والتكامل... بل لا بد من الصدام الدائم بين كل الفصائل من اجل بقاء الاید اليهودي، والوحيد الحاكم... اما الحيوانات الاخرى فلا بد من ان تتصادم وان تجد فرصة للتعاطف حتى لا تفكر في اكتشاف الذي يملك الخيوط، والذي يحرك الالعاب التآمرية، ولا يعرف نفسه الا من خلال الصدام مع الآخر :

فما ان تنتهي القوة الشيوعية -ممثلة في الاتحاد السوفيتي- كنموذج، الا ويبدأ التجهيز الفوري لصناعة عدو جديد، كانوا يتظاهرون بوضع ايديهم مع بعض شرائحه ضد الشيوعية... لكنهم فوراً اكتشفوا انه هو العدو، وان الاسلام

هو الارهاب، وان الحضارة الاوربية والامريكية والصهيونية مهددة بهذا الارهاب، وان القضاء على الاسلام بيد ابنائه بخاصة، مطلب ضروري لبقاء الحضارة الاوربية، والحفاظ على العالمية والكوكبة والانسانية، وما ان تنتهي حرب الخليج التي اخترعوها اختراعا، حتى دخلوا بنا مرحلة تنشيط وتهيئة للدور الجديد، بعد ان اجهضونا بحرب داخلية اكلت الاخضر واليابس، هذا الدور الجديد هو تفجير مجتمعاتنا الاسلامية من الداخل عن طريق الايقاع بين الحكام وما يملكون من شرطة وجيوش، وبين الامة حيث يقنعون بعضهم بأن الاسلام خطر لابد من ازالته، ويجركون من الاخرين بعض المتطرفين الذين يعطون المبرر لتأجيج الصدام والصراع.... انهم لا يملكون الميزانيات لإعلان الحروب المباشرة للقضاء على الاسلام والمسلمين، فعلى الامة ان تدبر هي هذه الميزانية بطريقة ا، بأخرى، وحسبهم هم ان يؤججوا الصراع هنا وهناك في المستوى الاعلى، وفي المستوى الادنى، وفي المستوى الوطني الداخلي، وفي المستوى القومي بين الوطن وجيرانه، وفي دائرة الاقليات ضد الاكثريات والعكس صحيح.

- ان الكاتب الامريكي اليهودي (صمويل هنتنجتون) مجرد كاتب في العلوم السياسية، ولا علاقة له بفلسفة التاريخ في الحقيقة، ومع ذلك فقد تقدم فور انتهاء حرب الخليج بمنشور سياسي عسكري موجه الى العالم الاسلامي ينذر فيه هذا العالم بأن يستعد للصراع الحضاري القادم الذي ينتظره، لأن عقلية النظام الدولي الجديد قد انتهت الى اعتماد (العالم الاسلامي) الخصم الذي ستعلن حربها العالمية عليه، بعد سقوط الشيوعية وغياب خصم تتصارع معه!!

- لنذع كل كلام اخر لهنتنجتون، فهو ليس الا تبريرا للنتيجة التي يريدها، وهو لا يرقى الى ان يكون تنظيرا لرؤية فلسفية او حضارية!!

- ومع ذلك فليس ما قاله هنتنجتون في كتابه (صدام الحضارت) الا تكرارا موسعا لبعض الشيء لما قاله قبله (ريتشارد نيكسون) في كتابه

(الفرصة السانحة) محذرا من خطورة العالم الاسلامي، وما قاله (ويلي كلايس)  
(الامين العام السابق لحلف الاطلسي) حول الاسلام كعدو اول للحضارة  
الغربية... لكن هنتنجتون اليهودي تلميذ التوراة، كان يقود السفينة الى  
الصدام على نحو اصرح، ويعطي امريكا واوروبا واليهود شرعية الغارة على  
العالم الاسلامي!!

اننا نؤمن بأن الكاتب الامريكي هنتنجتون (استاذ العلوم السياسية  
ومدير مؤسسة "جون اولين" للدراسات الاستراتيجية بجامعة هافورد)-انما  
يقوم بجزء من مخطط صهيوني تسعى الصهيونية من ورائه لدفع امريكا  
والغرب؛ لاعلان حرب عالمية على المنظومات الحضارية غير المأوربة او الأمركة،  
على رأسها الاسلام والغرب!!

- ان الترويج لنظرية "صدام الحضارات" وتوقع هنتنجتون بصدام  
الحضرات خلال العقدين الاول والثاني من القرن الحادي والعشرين-يمثلان  
تعميقا للاتجاه السائد الآن حول فرض "الأمركة" و"الاوربة" على العالم، بصرف  
النظر عن الخصوصيات الحضارية، وهو تئيس للحضارات الاخرى من الحفاظ  
على خصوصيتها وقسماتها الحضارية، بل هو تأكيد للنظرية التي طرحها  
(فرنسيس فوكوياما) (الامريكي الياباني الاصل) والقائلة بنهاية التاريخ بعد  
سقوط الشيوعية وانتصار الرأسمالية والليبرالية الغربية.

ويرى هنتنجتون حتمية الانسياق الى صراع جديد بين الحضارات من  
خلال عدد من المناطق المتشابكة.

ويعين هنتنجتون هذه المناطق المتشابكة بأن اهمها (شمال البحر  
الابيض المتوسط بإزاء جنوبه) هنا تحتل المسألة الجزائرية مكانا  
هاما)-جمهوريات الاتحاد السوفيتي المسلمة وجمهورياته المسيحية (هنا الحرب  
الحقيقية دائرة مثلا بين الأذربيجان والارمن، وبين الروس والطاجيك، وبين  
الروس والشيشيان).

[ويهمل هنتنجاتون-لأنه يهودي متعصب-التحدي الأكبر المفروض على المشرق الإسلامي، بسبب توسع الدولة اليهودية، على حساب اراض عربية كثيرة، وتطلعات اسرائيل لادوار استراتيجية واقتصادية وعسكرية وثقافية، تجعل -في نظرنا- المعركة بين الاسلام واسرائيل الصهيونية اخطر مواطن صراع الحضارات] ويقدم لنا (صموئيل هنتنجاتون عددا متخيلا من الافتراضات التي يبني عليها نظريته التوراتية (صدام الحضارات) التي تعد احدث هدايا التوراة للعالم...

- فمن هذه الافتراضات ان الصراع بين الحضارات والثقافات هي الحلقة الاخيرة المنبثقة عن مرحلتي الصراع بين الامم، وبين الايديولوجيات.

- ومنها ان التكتلات الكبرى المقبلة سوف تكون-ثقافية وحضارية-بين مجموعات من الامم لها حضارات مختلفة، وسوف تكون الخطوط الفاصلة هي خطوط المعارك وهي نقاط الصدام.

- ويذكر هنتنجاتون ان خصائص الدين الاسلامي وقدرته على توفير الاحساس برباط حضاري يوحد بين معتنقيه يجعله مرشحا للصدام مع الحضارة الامريكية الاوربية.

- ومنها ان دور الاسلام في الربط بين المسلمين العرب وغير العرب دور أساسي، فهو الجامع بين ايران واغنيستان، وتركيا وباكستان، وتركيا واذربيجان، وقزغيزستان، وغيرها.

- ويرى ان الاختلاف في الثقافة يمثل مصدرا للصراع، وبخاصة ان الثقافة تشمل مفاهيم حياتية معينة.

- ويقترح هنتنجاتون على أمريكا وأوروبا وسائل لمقاومة القوى الحضارية الأخرى، وعلى رأسها العالم الإسلامي، منها:

1 -دعم التعاون الأمريكي الاوربي.

2 -الحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان.

3 -ومقاومة توسع القوة العسكرية الاسلامية، والصينية الكونفوشية.

4 -ودعم اسرائيل بدعوى انها على رأس الدول المتعاطفة مع القيم الغربية.

5 -وعلى الغرب تطوير فهم اعمق للاديان والفلسفات التي تقف وراء الحضارات المعاصرة.

- وخلاصة هذا المنشور العسكري والسياسي اعلان حرب علنية على العالم الاسلامي، واكبر ما يستفاد من هذا المنشور أن الصهيونية والقوى التي تتبعها وتدور في فلكها، لاتستطيع ان تعيش في سلام ابدا ولو لفترة محدودة، وهذه القوى تجد وجودها وشعورها بذاتها ورخاءها الاقتصادي ووحدتها... تجد كل ذلك مرتبطا بوجود خصم يحاربونه، فإن لم يوجد هذا الخصم حقيقة اخترعوه اختراعا، وعملوا في الظلام على توريث بعض ابناء الخصم في بعض عمليات عنيفة يعتمدون عليها في تبرير موقفهم، وفي تأجج الصراع بينهم وبينه، وفي التدخل في شئونه، وفي سعيهم للهيمنة عليه والقضاء على نهضته، وحرمانه من حق المنافسة المتكافئة!!

- وهذا السلوك يعود بجذوره الى التوراة التي تشيع في اليهود روحا من الاستعلاء العنصري، والشعور بأن العالم خلق لهم وحدهم، وبأن الآخرين لا يستحقون الحياة، فضلا عن ان يستحقوا الحوار والتعاون.

- ان التوراة التي يستلهمها اليهود دائما، والتي بنوا من اجلها دولة اسرائيل، هي التي تقف -بفلسفتها- وراء هذا الخراب العالمي!!

ان الايمان الديني المكين لدى اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأن الناس قسمان : يهود، وجوييم (امميون) أي كفرة وثنيون، واليهود وحدهم هم شعب الله المختار، وهم ابناء الله واحباؤه، لايتقبل العبادة الا منهم، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله، وعنصرهم من عنصره، فهو وحدهم ابناءؤه الاطهار، وقد منحهم الله

الصورة البشرية تكريماً لهم، أم الجويم (الأميون) فخلقوا من طينة شيطانية، والهدف من خلقهم خدمة اليهود، ولم يمنحوا الصورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود، فاليهود أصلاء في الإنسانية، والجويم اتباع فيها، وعلى هذا فمن حق اليهود معاملة الأميين كالبهائم، والآداب التي يتمسك بها اليهود لا يمكن أن يعاملوا الأميين بها، فلهم أن يسرقوهم، ويغشوهم، ويكذبوا عليهم، ويخدعوهم، ويغتصبوا أموالهم، ويقتلوهم، ويهتكوا أعراضهم، ويرتكبوا معهم كل الموبقات ما آمنوا استتار جرائمهم.

إن هذه العقيدة المسيطرة على اليهود - قديماً وحديثاً - والحركة هم سياسياً في العصر الحديث - عقيدة جرت العالم كله إلى كوارث لانهاية لها.. فقد عمل اليهود على تمزيق الأوطان، والقضاء على القوميات والأديان، وإفساد نظم الحكم في كل الأقطار بأغراء الملوك والحكام باضطهاد الشعوب وأغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام ونصوص القانون.

وباسم هذه العقيدة ينشرون المذاهب المدمرة، فهم يعملون على نشر الشيوعية أحياناً، والرأسمالية أحياناً أخرى، ويلبسون مسوح الاشتراكيين أحياناً وينادون بالحرية والمساواة ويثيرون الكتل العالمية ويدفعونها إلى الصراع؛ وهم يثيرون المظلومين في وجه الظالمين، ولكنهم سرعان ما يحاربون الحرية والمساواة.. أي يحاربون المظلومين... ويعلنون أن الطاعة العمياء والتفاوت بين الناس هما أساس القيم البشرية، ويحاربون الحرية مؤكدين أنها تحول الغوغاء إلى حيوانات ضرية، وأن من الضروري أن تستحق هذه الكلمة ويزول مدلولها تماماً.

وهم في أيامنا هذه ينشرون الإباحية والفوضوية، ويعملون على تقويض الأسر وقطع صلات الود، ويدفعون الناس للشهوات والانحلال، والبعد عن كل القيم الإنسانية، وترسم بروتوكولات حكماء صهيون أن يستغلوا النزاعات الإنسانية كالمال والنساء والغرائز مع الجويم، لتكون أداة في يد اليهود.

كما توصي البروتوكولات ان يضع اليهود في المراكز الكبيرة شخصيات مرموقة لها اخطاء لا يعرفها الا اليهود، وفي ظل الخوف من اشاعة هذه الاخطاء، ينفذ هؤلاء الاشخاص لليهود ما يشيرون به عليهم دون تردد!!

وتهتم البروتوكولات بأن يسيطر اليهود في هذه المرحلة على الصحافة ودور النشر، وجميع وسائل الاعلام، حتى لا يتسرب للرأي العام العالمي الا ما يريده اليهود وحدهم!!

- ويستعمل اليهود المال وسيلة من اكبر وسائلهم، ليس للرشوة فحسب، بل لاثارة الثورات الداخلية عن طريقه، فهم يغرون الحاكم بجمع المال لنفسه ولاولاده بطريقة غير مشروعة ومثيرة للرأي العام، ثم يدفعون الشعوب لتثور ضد الحاكم الذي استحوذ على ثروة البلاد وغلبته الانانية القاسية...

كما يدفعون بأشخاص وطبقات يسمونها النخبة المثقفة لخيانة دينهم ووطنهم وحضارتهم والارتباط مصالحها باليهود، وعن طريق جمعياتهم المشبوهة مثل الماسونية والروتاري والليونز وشهود يهود، يصنعون من بعض الاشخاص شيئا له قيمة، ويهيئون فرصا لاحتلالهم مكانة مرموقة، ومن خلالهم يحققون اغراضهم ويدمرون ثوابت الامم، ويخترقون كل الاجهزة الحساسة في الامة!!

- ان الفوضى الانسانية المعاصرة، والتدني الاخلاقي، وصور الظلم والعنف، وصورة القرن العشرين الدموية، والبداية الكئيبة للألفية الثالثة، كل هذا الذي يمكننا تسميته (بأزمة الانسانية المعاصرة) تعود بجذورها وفكرها ومفرداتها العقدية، ونماذجها السلوكية، الى اسفار التوراة، والى هذه اللوحة القائمة التي تصورها سطورها وصفحاتها.... هذه اللوحة التي لا يمكن ان تكون رسالة الله لهداية الانسان وسعادة الانسانية... هذه اللوحة التي تقدم الله والانبياء بأسوأ الوانه، وتدعو الانسانية الى حياة غابية حيوانية سوداوية.



## الإنسان وحق الحياة والكرامة الإنسانية في الإسلام:

- الإنسان في الاسلام مكرم باصل فطرته؛ فلمجرد انه انسان استخلفه الله في مهمة عمارة الارض، فقد اصبحت له مكانة خاصة.. انه خليفة الله في الارض، فلا تجوز اهانتة ولاظلمه، بأخذه بذنب غيره، ولا انزال عقوبة جماعية او عشوائية عليه... بل يجب ان تصان انسانيته وكرامته وحياته الفردية والعائلية، وكل نوع من انواع وأد الحياة بصورة اجمالية يقف الاسلام ضده، ومبذنيا يحرم الاسلام الاسلحة النووية والذرية لطبيعتها الجماعية وقد اخترعت هذه الاسلحة بتأثير الامتداد التوراتي الذي يرى ان غير اليهود لا يستحقون الحياة، فلا مانع من استعمال اسلحة ابادة جماعية معهم!!

-ولحرص الاسلام على مبدأ ان الحياة الكاملة مصونة : فقد حرم الارهاب والتخويف والاهانة والازدراء، والتطاول والطعن في العرض، لأن الحياة الانسانية المادية والمعنوية موضع الرعاية والاحترام في هذه الشريعة، كما حرم تعريض اي مسلم لأي فزع واعتبر ذلك جريمة؛ لأن حق الحياة الامنة من المخاوف حق ثابت للجماعة لا قبل النقض، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: « لا يحل لمسلم ان يروع مسلماً » [رواه الطبراني]، وفي رواية : « لا ترؤعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم ».

-واذا حصل التخويف بالسلح فإن الاثم يزداد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : « لا يشر احدكم الى أخيه بالسلح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ».

-وقد نهى القرآن الكريم كذلك عن الظن، واعتبره اثماً ونوعاً من الاعتداء، قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم» (40).

كما نهى عن اخذ الناس بالخبر المبني على الظن، فقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنياً فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما

فعلتكم نادمين». (41) وقال ايضا : «وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليهم بما يفعلون». (42)

- وقال سبحانه لنبيه : «وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون». (43)

ومن المبادئ التي قررها الاسلام ايضا: تحريم التمثيل يجسد الانسان حفظا لأدميته، فلا يجوز التمثيل في القتل الا على وجه القصاص، فقد قال عمران بن حصين -رضي الله عنها- : «ما خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطبة الا امرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة حتى الكفار اذا قاتلناهم فإننا لا نمثل بهم بعد القتل، ولا نجدع أذانهم وانوفهم، ولا نبقر بطونهم، الا ان يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مثل ما فعلوا، والترك افضل» ذلك استنادا الى قوله تعالى : «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واسبر وما صبرك الا بالله». (44)

- وانا اميل الى هذا الرأي الاخير الذي يرى عدم التمثيل بأجساد الأذميين من اعدائنا حتى لو مثلوا بأجساد شهدائنا، ذلك لأن الالتزام بالمبدأ فوق الانتقام الشخصي، وهكذا تعلمنا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما دخل مكة فاتحا فلم يفعل في اهلها ما فعله داود في أهل اريحا حسب رواية التوراة، بل إنه وقف خاشعا متواضعا لله، قائلا للذين التفوا حوله وهم يرتجفون من الخوف : "ما تظنون اني فاعل بكم؟  
- قالوا خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم.  
- فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء لوجه الله تعالى.

ولو كان صلاح الدين الأيوبي قد استحضر في ذهنه ما ارتكبه الصليبيون خلال قرنين من الزمان حولت شوارع بيت المقدس والرها وانطاكية وطرابلس الى انهار من الدماء..... لو اساحضر هذا الماضي البغيض، وهو يضع يده على مئات الالاف من الاسرى بعد انتصاره الكبير في حطين- لكان قد منع عن اوروبا رافدا بشريا لا يقل عن عشرات الملايين الآن...

لكن صلاح الدين الايوبي استحضّر قيمة غرس المبادئ، وقيمة الاستعلاء الى مستوى المثل، ورفض ان يقوم بما نسبته التوراة الى داود عليه السلام -وحاشاه- وهو يدخل مدن الشام.

ان حق الحياة حق انساني عام مصون بشروطه القانونية ولا يسكب عشوائيا ولا ارتجاليا، حتى ولو كان في الأمر انتقام شخصي او وطني او قومي او ديني... بل لابد من جريمة فردية توجب القصاص او انهاء الحياة.

## الإسلام والحروب

تسببت الصورة القاتمة التي نقلتها التوراة الى البشرية حول الحروب التي تقوم على الابداء الجماعية، حتى للحيوانات التي يملكها الشخص فضلا عن اطفاله وزوجاته....

- تسببت هذه الصورة في ترك الحبل على الغارب للتطور العقلي والابداع التكنولوجي الى هذا المستوى الذي نعرفه في حروب عصرنا الحديث، الذرية والنوية والكيمياوية والجرثومية، ومع ذلك فنحن نتمنى الا يلجئ اعداء الاسلام والعروبة -المسلمين الى الشعور بضرورة استخدام هذه الاسلحة، وبالتالي الا يستخدمها الا عند الضرورة القصوى، وفي اضيق نطاق.

ان الموقف الاسلامي المبدئي من هذه الاسلحة ومن وسائل الابداء الجماعية هو موقف الرفض، بل ان الاسلام سبق كل الدساتير والنظم الدولية الى وضع آداب للحروب تؤدي الى حماية الابرياء من غير المقاتلين، والى احترام حق الحياة العام لأنه الاصل، وعوامل الفناء هي الشذوذ والفرع... وهذا الاحترام ليس خاصا بالمسلمين، بل هو لعموم البشر عكس الفطرة التوراتية لا تهتم الا باليهود.

اما في الاسلام فمنذ اربعة عشر قرنا، وهو يقنن للحروب ويضع لها الضوابط، ويحصرها، وكأنه يتمنى ان لا تكون.. وقد وضع الاسلام (اخلاقا حربية) يلتزم بها المسلمون، وهي تلزم المحاربين المسلمين بعدم الاحراق

والتخريب والتدمير، وبعدم الاعتداء على الشيوخ أو الاطفال أو النساء الا المقاتلين منهم، وبعدم الاعتداء على الاعراض، وعدم الاعتداء على بيوت العبادة، وعدم المثلة بأحد الا في حدود المعاملة بالمثل، والعفو اولى، وعدم قتل المستأمنين والسفراء (والدبلوماسيين) والرسل، والوسطاء الدوليين، ونحوهم.

وقد لخص الخليفة الراشد الاول ابو بكر الصديق -رضي الله عنه- اخلاق الجهاد الاسلامي-في عشر خصال وردت في خطبته التي ودع بها جيش (اسامة بن زيد)... قال ابو بكر :

يا أيها الناس. قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني :

« - لا تخونوا ولا تغلوا،

- ولا تغدروا ولا تمثلوا،

- ولا تقتلوا طفلا صغير،

- ولا شيخا كبيرا ولا امرأة،

- ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه،

- ولا تقطعوا شجرة مثمرة،

- ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بغيرا الا لمأكلة.

- وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع.. فدعوهن وما فرغوا انفسهم له.

- وسوف تمرن على قوم يأتونكم بأنية فيها الوان الطعام، فإذا اكلم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها.

- وتلقون اقواما قد فحصوا اوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصا فاحققوهم بالسيف نفقا. اندفعوا باسم الله ».

وهذه لاخلق الحربية التي حصرتها خطبة ابي بكر الصديق، مضافا اليها واجب الدعوة قبل القتال.. هذه الاخلاق، وهذا الواجب كانا وراء ما وصلت اليه البشرية -اخيرا- من بعض قوانين معاملة المدنيين اثناء الحرب، ومن ضرورة الاعلان بالحرب.

بأنه لا يوجد هذا الأخلاق الجارية في تمثيل إعطاءه، فمختلفا، إنما من أجل إعطائنا في المستنتجة  
 من أن فصلين، التوراة، تلك، التي، الشواهد التي، في، الصداقة، السابغة، وبذلك، أما  
 كانت التوراة، مستقلة، عن، اللازمة، الضاربة، حوله، في، جانبها، العسكري  
 والسياسي، جقد، ما، كان، القرن، أن، مقسما، على، تلك، الحيات، لأنها، لا، حرق  
 التي، طالب، بتدمير، الأسلحة، المتوالية، وبوضع، قوانين، للصناعة، المدينين، وبهذه،  
 الأسرى، وحسن، معالمتهم، وبإثبات، الحوار، على، الدمار، والتسامح، على، التشاحن  
 وإن، يستمر، طويلا، منهم، التوراة، حتى، ولو، نجم، خلال، القرن، العشرين، في، إقامة  
 حربين، عالميتين، شنيعتين، واشعال، حرب، باردة - لم، تخل، من، حروب، في، الأرض، في،  
 دفعت، البشرية، ثمنا، غاليا، لها، واستمرت، نصف، قرن، حتى، سقوط، الكتلة  
 السوفيتية.

وجدير بالذكر أن أخلاق الإسلام الحربية تنبع من تقديره لحق الحياة،  
 وصيانته لها، كما تنبع من تقرير لانسانية الانسان... الانسان الفرد الذي خلقه  
 الله فسواه فعده، وحمله في البر والبحر، وسخر له الكون وأعطاه اسلحة بناء  
 هائلة، كقيلة بأشغال كل الناس مهما كان عددهم، لكنه، تأثير، الفلسفة  
 التوراتية - وجدة هذه الأسلحة الربانية التي اصطفاه الله بها، إلى الشر  
 والدمار، فدفعت البشرية الكثير، وفي الوقت نفسه خسر أكثر البشر حقوقهم  
 الأساسية التي لا يستطيعون الحياة بدونها.

**الحق والعدل قبل الحرية والمساواة:**  
 يتحدث الناس كثيرا عن الحرية والمساواة، وينظرون إليها على أنها  
 العمودان الفقريان لحقوق الانسان، بيد اننا نراها ثمرتين لقيمة أخرى يجب  
 ان تسبقهما، ويجب الاتفصم عنهما، وهي قيمة العدل؛ فالعدل اساس الحياة  
 الانسانية، ولن تتحقق حرية حقيقية، ولا مساواة حقيقية مع الظلم والجور، ومن  
 هنا يتكلم الاسلام كثيرا عن العدل والحق بدرجة اكبر - كما وكيفا - من كلامه عن  
 الحرية والمساواة.

- يقول ابن خلدون : في بيان قيمة الحق والعدل : « ان التعدي والظلم عائدة الخراب في العمران، وعلى الدولة بالفساد والانتقاض، وكل من اخذ ملك احد او غصبه في عمله، او طالبه بغير حق، او فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلم... وبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها، وهذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم»<sup>(45)</sup>.

- والعدالة في الاسلام جماعها قوله تعالى : «وإذا حكمتكم بين الناس ان يحكموا بالعدل» وقوله تعالى : «ولا يجزئكم شئنا ان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى».

وقد جاء في كتاب القضاء الذي ارسله عمر بن الخطاب الى قاضي القضاة ابي موسى الاشعري :

«أس (أي ساو) بين الناس في جهدك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك»<sup>(46)</sup>.

ولنلاحظ هنا عمومية الخطاب من خلال مصطلح (الناس) فالعدل يتجه لكل الناس بصرف النظر عن اديانهم واقوامهم، ومكانتهم الاجتماعية او الثقافية.

والتاريخ الاسلامي يقدم صورا كثيرة انتصر فيها الاسلام - وحيا وقضاء - لغير المسلم ضد المسلم، حتى في مجرد الشكليات القانونية، فقد كان القاضي المسلم يوفق الامير ملاصقا للفقير، ويخاطب الاثنين بأسلوب واحد، ويحكم للمظلوم مهما كان شأن الظالم، وقد اسلم كثير من اهل الذمة بسبب معاشتهم لعدل الاسلام ورحمة الاسلام!! -ومن البديهييات انه اذا كانت الحرية والمساواة محدودتين في طبقة بعينها كما هو الشأن في طبقة البراهمة في الهندوكية، او في ابناء دين واحد، كما هو الشأن في اليهود الذين يرون من خلال التوراة والتلمود ان لليهود شريعة فيما بينهم تقوم على العدل والحرية والمساواة، وشريعة مع غيرهم تبيح لهم انتهاك حقوقهم، بل وانسانييتهم ودماءهم... من



الذي ينادي به الإسلام عدل مطلق يساوي بين الناس: «وإذا حكمتكم بين الناس أن  
نحكموا بالعدل». <sup>(52)</sup> ولا تعتبر العداوة التي تقوم بين الناس مبررا لقيام الظلم  
أو ترك العدل: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم  
شأن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله أن الله خبير بما  
تعملون». <sup>(53)</sup>

حتى القول ينزه الله سبحانه وتعالى عباده ألا يعدلوا فيه: «وإذا قلتم  
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون». <sup>(54)</sup>

فالعدل يأخذ معناه الكامل في شتى الحالات الانسانية، فلا العداوة مهما  
كان باعتهت دينيا أو قوميا، لا تمنع العدل بل توجبه، والقرابة كانت حدودها  
لاتجيز المحابة ولا ظلم الآخرين... انه عدل بالمعنى الحقيقي للعدل!!

- العدل الذي يتطلبه الاسلام عدل في الحكم، والامام العادل احد سبعة  
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله!!

- وهو عدل في الضعفاء وتسوية بين المتخاصمين مهما اختلفت منزلتهم  
أو تباينت طبقاتهم، كما أنه عدل في توزيع الحقوق والواجبات، وعدل في إقامة  
الحدود والقصاص، وعدل بين الزوجات ان كن اكثر من واحدة، وعدل في القول  
والشهادة والكتابة، وعدل بين المسلمين اذا تخاصموا: «وان طائفتان من المؤمنين  
اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى  
امر الله، فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين». <sup>(55)</sup>

- انه - بإيجاز - عدل في كل الحالات، وانه (عدل كامل مطلق) لا يمكن ان  
تقوم حرية ومساواة بدونه!!

## الحرية في الاسلام :

الحرية معنى اصيل في الحياة العربية والاسلامية، وهي جزء من فطرة  
الانسان التي فطره الله عليها، وهي مرتبطة - كما ذكرنا - بالعدل، فحرية الفرد  
يجب ان تتلائم مع حرية الافراد الآخرين، ومع حقوق المجتمع، ومع شريعة الله



الانسانية العادلة الرحيمة. واذا كانت النظم الشمولية تحاول تعليم الناس العبودية، كما كان الحال في الشيوعية، فإن الاسلام يعلم الناس الحرية، ويربيهم عليها، ومن هنا رأى الشيخ "محمد الخضر حسين" ان الاساس في ممارسة فضيلة الحرية هو التربية والتعليم اللذين يجب ان تقوم بها الدولة. (56)

- فحضارتنا - في قواعدها التشريعية والتاريخية - هي حضارة الحرية.. وحتى في ظلال القبيلة كان الانسان (حرا) ولما انتقل الى الدولة-في ظل الاسلام- كان المسلم يقول للخليفة على المنبر : (لا سمع وطاعة) ولا يساق الى ابشع وسائل التهذيب. وكانت المرأة تعرض على عمر بن الخطاب، ويعترف عمر بخطئه-لكن مصطلح (الحرية)-قد غاب فترة من تاريخنا، ثم شوهته الحضارة الاوربية بمفاهيمها، بحيث اصبح من الحتم عند تتبع مصطلح الحرية التعرف على الدلالات المختلفة التي استعمل فيها، وادوار الاستعمال التاريخية التي مر بها.

ومن هنا ينبغي ان نقف قليلا عند مفاهيم الحرية وضوابطها ومستوياتها المختلفة...

-يرى البعض ان الحرية هي "غياب المعارضة" بالنسبة للشخص، اي أننا نشعر بحريتنا حين نحس بأن احدا لا يراقب سلوكنا، ولا يحد من قدراتنا التصرفية.... ومن هنا اطلقوا على النظم الارهابية بأنها (النظم المطلقة).... اي الحرة التصرف في الجماهير وفق هواها...

ولا تعارض بين الداليتين... لأنها في الحقيقة يكمل بعضهما البعض... فحرية هذا في ان يقول... هي نفسها حرية ذاك في ان يعترض... اي ان يقول رأيا آخر...

المهم الا يستعمل احدهما وسائل خارجية بعيدة عن "القول" لكي يمنع الآخر من القول كما يشاء!!

ان الحرية لا تعني (فقدان الضوابط) بل تعني انسجام الضوابط

وتوازنها، بحيث لا تكون الضوابط ملزمة للمحكوم فقط، بل ملزمة للحاكم والمحكوم معاً!! والقيود التي تمنع الانسحاب من الاساءة الى نفسه او الى الغير هي قيود مرغوب فيها عموماً، وقيود القانون العادل هي من هذا النوع، وحيث يسود "لاقانون"، تسود بالتالي "لاحرية".<sup>\*</sup>

... وبالتأكيد تعتبر الحرية الاجتماعية المقننة، والحرية الاقتصادية المقننة والحرية الفكرية المقننة... عوامل هامة لاستكمال الحرية السياسية؛ لأن الحرية السياسية لا تقوم في فراغ.

ويبقى بعد ذلك ان الحرية السياسية هي ان يتاح للمواطن الاشتراك في حكم نفسه، بقدر ما تسمح له مجموعة ظروفه في المجتمع، والدولة الحرة "سياسياً" هي تلك التي تصبح دولة الشعب تحت مظلة الشريعة، ومرة أخرى، فإن (الحرية) اصيلة في تصورنا الاسلامي وحضارتنا الاسلامية، ليس بمعنى تحرير (الرقائق) - فقط - كما يزعم بعض المفرضين-وانما بالمعنى الانساني العام الذي ترجمه خير ترجمة الخليفة عمر بن الخطاب في عبارته الشهيرة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرار ».

- ان القرآن - صراحة - يحدثنا ان الرسول محمداً عليه الصلاة والسلام، انما ابتعته الله لرفع الاغلال عن الناس : «الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم». (57)

- ومع ان القرآن في آيات كثيرة يحدثنا على تحرير الناس من الرق الذي كان سائداً في عصر ظهور الاسلام : «فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة» (58) - : «فكفارتهم اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة» (59) - : «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماساً» (60) - : «فلا اقتحم العقبة، وما ادراك ما العقبة، فك رقبة»... (61)

- مع هذا الحث الدءوب لمواجهة الخلل العالمي الذي كان سائدا الا ان المعنى العام لحرية الانسان كان هو المنطق الاساس لمفهوم الحرية في شتى مستوياتها : الفكرية والعقدية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في اطار الضوابط الشرعية المحققة للتوازن والعدل!!.

- ان القرآن يقدم لنا في سورة (المجادلة) [ولنلاحظ ان اسم السورة يفيدنا بوجود مجادلة بين الرسول واحدى النساء]، وفي الآية الاولى تتأكد المجادلة بقول الله تعالى : «**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما**».

فهذه سورة من سور الحرية الفكرية، اما في مستوى حرية العقيدة فقد نزل قوله تعالى : «**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**»<sup>(62)</sup> ضد رجل مسلم استشار الرسول ان يكره ابنين نصرانيين له على الاسلام!!

وقد اعترف "ول ديورانت" بأن كل اهل الذمة تمتعوا في الدولة الاسلامية بحرية لا نظير لها.<sup>(63)</sup>

## المساواة:

تختلط كلمة المساواة بكلمة العدل حتى كأنها كلمة واحدة، او عملة ذات وجهين، وهذا حق لاشك فيه، وقد بدأنا حديثنا عن نظرة الاسلام للانسانية ومنهجه في حل مشكلاتها، بالحديث عن العدل، لأنه اساس الحرية والمساواة، وهو الارضية التي تقف عليها كل القيم الكريمة في هذه الدنيا، حتى الشرك بالله جعله القرآن نوعا من مخالفة العدل، فقال : «**ان الشرك لا ظلم عظيم**»، ويفقد العدل معناه اذ كان لأصحاب دين دون دين، او لقومية دون قومية، او لطبقة دون طبقة، بل يجب ان يكون مطلقا بلا حدود كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن : «**واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل**»<sup>(64)</sup> !!

- فالمساواة في الحقوق والواجبات وامام العدالة من الحقوق الاساسية للانسان، ولايجادل في هذه الحقوق الا عدو للانسانية.

وقد كان الاسلام اسبق من كل النظم المعاصرة، وازكى في تقرير هذا الحق.

ان الناس في الاسلام سواسية ولا تفاضل بينهم... فكلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فرق بين رجل وامرأة. والغني والفقير سواء في القيمة الانسانية، فلا تفاضل بين الناس في هذه الناحية الا بالعمل الصالح والكفاءات الممتازة، وبما يقدمه كل فرد لربه، ولاخوانه ولوطنه.

لقد قضى الاسلام على الطوائف والعصبيات الجاهلية، فلا تفرقة بين الطبقات، ولا بين العبيد والاحرار... فكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقرب اليه كثيرا من العبيد، ويقدمهم على بعض الصحابة الاحرار، كما كان -سلهم قادة على الجيوش التي تضم بين صفوفها خيرة الصحابة واجلاءهم فلا تفرقة في الاسلام من اجل حسب او نسب.

يقول الله تعالى : «من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون».<sup>(65)</sup>

ويقول : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله ان الله عليم خير».<sup>(66)</sup>

فلم يفرق الاسلام بين الرجل المرأة، بل جعلهما متساويين في القيمة الانسانية.

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في خطبة الوداع : «أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، ان اكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى.. الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد... فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

ويروي ان ابا ذر الغفاري تناقش مرة في حضرة النبي مع عبد زنجي، فاحتد ابو ذر على العبد وقال له : يا ابن السوداء، فغضب الرسول -عليه الصلاة والسلام- وقال : «طفّ الصاع، طفّ الصاع -اي قد زاد الامر عن حده -

ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح» فحزن ابو ذر ووضع خده على الارض، وقال للعبد : «قم فطأ على خدي»، فليس في الاسلام انسان اكرم من اخر بفضل حسبه ونسبه، بل الكل سواسية، ولا تفاضل الا بالعمل الصالح فقط.

وهذا من الناحية الانسانية البحتة...

اما امام قانون الاسلام - فالمساواة قائمة كذلك :

قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والإنثى بالإنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان...»<sup>(67)</sup>.

وقال ايضا : «وكتب عليكم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص...»<sup>(68)</sup>.

وقال كذلك : «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...»<sup>(69)</sup>.

وينبئنا التاريخ الاسلامي ان تلك القواعد السمحة القويمة التي وضعت للمساواة امام القضاء كانت منفذة بحذافيرها ايام الرسول والخلفاء الراشدين، فيروى ان اسامة بن زيد وهو من احب الصحابة الى رسول الله، جاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ليشفع في فاطمة بنت الاسود المخزومية، وكان قد حكم عليها بحد السرقة حيث انها سرقت قطيفة وحليا، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانكر موقفه هذا على الرغم من حبه له، ولم يشفع له منزلته من رسول الله، وقال له - صلى الله عليه وسلم - «اتشفع في حد من حدود الله» وقام فخطب الناس وقال : «انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها !!»

ولقد شك اليهودي عليا - رضي الله عنه - الى عمر بن الخطاب في خلافة عمر، فلما مثلا بين يديه خاطب عمر اليهودي باسمه، على حين خاطب عليا بكنيته،

فقال له : "يا أبا الحسن" حسب عادته في خطابه معه، فظهرت اثار الغضب على وجه عليّ، فقال له عمر : « اكرهت ان يكون خصمك يهوديا. وتمثل معه امام القضاء على قدم المساواة »؟!

فقال علي : « لا، ولكنني غضبت لأنك لم تسوّ بيني وبينه، بل فضلتني عليه، اذا خاطبته باسمه، بينما خاطبتني بكنتي »...!!

ويروي ان ابن عمرو بن العاص ضرب رجلا من دهماء المصريين، حينما كان ابوه واليا على مصر، فأقسم المجني عليه ليشكوه الى امير المؤمنين (عمر بن الخطاب)، فقال له : اذهب فلن ينالني شيء من شكواك، فأنا ابن الاكرمين، وبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب مع خاصته ومعهم عمرو بن العاص وابنه في موسم الحج، قدم هذا الرجل عليهم، وقال مخاطبا عمر : يا أمير المؤمنين، ان هذا -واشار الى ابن عمرو- ضربني ظلما ولما توعدته بأن اشكوه اليك قال : "اذهب فأنا ابن الاكرمين".... فنظر عمر -رضي الله عنه- الى (عمرو) وقال قولته المشهورة :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتم احرارا ثم توجه الى الشاكي واعطاه درته، وقال له : اضرب بها ابن الاكرمين كما ضربك ».

وهكذا من الناحيتين (الانسانية الاعمة) و(القضائية) تتجلي (المساواة) التي وضع الاسلام قواعدها بين الناس، ولا فضل الا بالعمل الصالح في الدنيا والآخرة.

## كلمة خاتمة:

وتبقى الكلمة الخاتمة - في هذا البحث الوجيز - بعد ان بسطنا القول في تلك القيم التي قدمتها التوراة، ونظرت من خلالها الى الله والانبياء، وقدمت صورتها للبشرية لتتأسى بها، وهي قيم تبناها اليهود في التاريخ كله، وفي عصرنا بخاصة، فصورتها هي الماثلة امام اعينهم في مؤتمراتهم ومخططاتهم ومؤامراتهم... وانطلاقا منها نشروا الجمعيات الماسونية، واقاموا دولة

اسرائيل، وسيطروا على الاعلام والاقتصاد، وركبوا الشيوعية والرأسمالية، ومدوا ايديهم الى خصوم الأمن من المسيحيين ليركبوهم للسيطرة على الاعلام تحقيقا لاحلامهم التوراتية والتلمودية، وهناك اربعون مليون مسيحي بروتستانت وغيرهم يناصرون الصهيونية انطلاقا من التوراة، وهناك حركة "شهود يهوه" التي انضم اليها مسلمون ومسيحيون لدعم الهيمنة اليهودية العالمية، وهم الان يتظاهرون بالوقوف مع الرأسمالية والعلمانية ضد الاسلام والاصولية، وهم في الحقيقة يسعون لضرب المسيحية والاسلام والشرق والغرب، ولم تكذ تنتهي الشيوعية حتى وجهوا النظام الدولي بعد حرب الخليج الى اعلان حرب عالمية على الاسلام، والحقيقة ان هدفهم ابقاء الحروب، وضرب اجزاء البشرية ببعضها، وتنفير مخططات التوراة في الابداء الجماعية للبشر من الامميين، وتحقيق السيادة لليهود من خلال اسرائيل الكبرى، ولا مانع لديهم في سبيل اهدافهم من تدمير الاخلاقيات والقيم والاديان، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، ورصيدهم في ذلك معروف...

انهم كانوا وراء مصائب كثيرة في القرن العشرين، وسوف يكونون اذا ظلوا يتمسكون بالتوراة كما هي، دون غربة، او تصحيح، وراء كل الازمات الانسانية التي ينتظرها القرن الواحد والعشرون(!!) وقد دفعوا واحدا من فلاسفتهم وهو (صموئيل هنتنجتون) ليضع التنظير الفكري والتخطيط الاستراتيجي للحمة بشرية قادمة تساق اليها الحضارة الامريكية-الغربية الرعناء، ويضطر المسلمون لمواجهةها بعد ان يتأكدوا انه لا مناص من هذه المواجهة والا فالإبادة الجماعية التوراتية في انتظارهم...!!

وعلى الشاطئ الاخر قدمنا قيم الاسلام في العدالة المطلقة، والحرية والمساواة والكرامة الانسانية في اطار التصور الاسلامي، الذي لا يجد من ينطلق وفق تنظيره وقيمه بطريقة فاعلة ايجابية تحمله الي العالم وتقدمه مشروعا انسانيا حضاريا ينقذ الانسانية التي تمضي وراء التوراة مندفة الى حتفها، وانتحارها الجماعي.

- لقد انقذ الاسلام الانسانية قديما، وظلت حضارية عشرة قرون قبلة العالم، وما زال الاسلام قادرا باعتراف اعدائه على انقاذ الانسانية، لأن المنظومة القيمة والتشريعية التي يقدمها، تقوم على الحق المطلق، والخير المطلق، بعيدا عن اغلال العنصرية والعصبية، فهي خطاب لكل الناس، وعدل ورحمة لكل الناس.

- ان القرآن يعلم اصحابه انهم خير امة اخرجت للناس، وان الدين عند الله الاسلام، لكنه يرفض ان يكون ذلك مشروطا بغير الاخلاقيات والقيم، فلا خيرية الا بالقيم المفتوحة لكل الناس، ولا يسمح القرآن بالظلم او الاستعلاء اعتمادا على هذه الخيرية المشروطة، بل يفرض الادب والحوار الاخلاقي مع الجميع:

«يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء» (70)

«وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (71)

- ويأمر المسلمين بأن يتركوا امر الفصل النهائي في الافضلية لله هناك في الآخرة، وليس في هذه الدنيا، وان يلتزموا بالادب مع مخالفيهم :

«ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم، كذلك زيننا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون».

ومأساة الانسانية الآن تتجسد في موقفين :

-موقف اهل التوراة القوي المنظم والفاعل والمؤثر العالمي، والاخذ بكل اسباب القوة والهيمنة.

- وموقف المسلمين المنهزم والمتخاذل والمتآكل داخليا، والمتصارع بين اجزائه، سياسيا وفكريا.

وهذا يجعل اصحاب الموقف الاول يمتدنون في فراغ دون مقاومة تذكر، ودون وجود حقيقي للطرف الاخر يلفت اليه انظار العالم الذي يشعر بالامه الانسانية المعاصرة ويكتوي بنارها، ويكاد يبصر افاق المستقبل المظلم الذي ينتظره.



- وليس ثمة من احل في انقاذ سفينة البشرية الا ببقظة اسلامية تكفل وعي المسلمين بذاتهم وحقيقتهم ورسالتهم، كأمة شهيدة على الناس ابتعثها الله لتخرج الناس من الظلمات الى النور، ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة.

- وليت ابناء هذه الامة يصطلحون - مبدئيا - على الحوار بالحسنى والعدل، حتى يراهم الناس اهلا للحوار معهم فيعرفون الاسلام من مصادره؛ لأنهم لا يبصرون الان للاسف الا من واقع المسلمين المشوه.

- ومن ثم قد يستبدل الله قوما ما غيرهم، يحملون راية الاسلام بعد ان تنكر اصحابه له، ثم لا يكونون امثالهم، فتبخر سفينة الانسانية المشرفة على الغرف الى شاطئ النجاة.

### الهوامش والمصادر والمراجع

- 1 - د/عبدالحليم عويس : حقوق الانسان في الاسلام، ص9، ط، الشرق الاوسط.
- 2 - سور الاسراء - الآية : 7.
- 3 - سورة التين - الآية : 4.
- 4 - سورة التوبة - الآية : 105.
- 5 - سورة فصلت - الآية : 46.
- 6 - سورة الزلزلة - الآية : 1، 7.
- 7 - سفر التثنية - الاصحاح السابع.
- 8 - صموئيل الاول 10، وانظر/كامل سيعفان-دراسة في التوراة والانجيل، 27 نشر دار الفضيلة - مصر.
- 9 - سفر الملوك الاول : الاصحاح الحادي عشر.
- 10 - سفر راعوث الاصحاح الثالث.
- 11 - سفر استير : الاصحاح الثاني (ووشتى هي زوجة الملك السابقة التي رفضت عرض جمالها للعامة).
- 12 - سفر استير الاصحاح الثاني.
- 13 - سفر استير الاصحاح التاسع.

- 14 - نشيد الانشاد - الاصحاح الاول.
- 15 - نشيد الانشاد - الاصحاح الثاني.
- 16 - نشيد الانشاد - الاصحاح الثالث.
- 17 - نشيد الانشاد - الاصحاح الرابع.
- 18 - نشيد الانشاد - الاصحاح الخامس.
- 19 - سفر التكوين - الاصحاح التاسع عشر.
- 20 - ليد تاكسيل (التوراة كتاب مقدس ام جمع من الاساطير) ص 103-104، طبع بيروت 1994.
- 21 - صموئيل الثاني : الاصحاح الحادي عشر.
- 22 - صموئيل الاول : الاصحاح السابع عشر.
- 23 - صموئيل الاول - الاصحاح 29.
- 24 - صموئيل الاول - الاصحاح 18:
- 25 - صموئيل الاول : الاصحاح 16.
- 26 - انظر د/احمد شلبي : اليهودية ص 66 .
- 27 - الملوك الاول 1:11-10.
- 28 - الملوك الاول - الاصحاح الثاني.
- 29 - سفر الخروج 32/1-6.
- 30 - صيحة تحذير من دعاة التنصير صفحات 45-46 نشر دار الصحوة بالقاهرة.
- 31 - سفر يشوع الاصحاح السادس.
- 32 - يشوع الاصحاح السابع.
- 33 - سفر يشوع : الاصحاح السابع الايات الاخيرة من الاصحاح.
- 34 - سفر يشوع الاصحاح الثامن.
- 35 - سفر يشوع الاصحاح الثامن.
- 36 - سفر يشوع الاصحاح العاشر.
- 37 - التكوين : الاصحاح السابع والعشرون.
- 38 - سفر التثنية : الاصحاح العشرون.
- 39 - سفر الملوك : الاصحاح الثامن (62-66).
- 40 - سورة الحجرات - الآية : 12.
- 41 - سورة الحجرات - الآية : 6.
- 42 - سورة يونس - الآية : 36.
- 43 - سورة الانعام - الآية : 116.
- 44 - سورة النحل - الآية : 126-127.

- 45 - ابن خلدون :المقدمة - بيروت، دار القلم 1978م - ص188، وانظر :النظرية السياسية في حقوق الانسان الشرعية :دراسة مقارنة. د/محمد احمد مفتي د/سامي صالح، كتاب الامة ط1، عام 1410هـ.
- 46 - حمزة ابراهيم فودة :العلاقة الانسانية في القرآن الكريم- ط نادي مكة الثقافي الادبي ط1، ص47.
- 47 - سورة النحل - الآية :9.
- 48 - سورة الحديد - الآية : 65.
- 49 - سورة الرحمن - الآية :9.
- 50 - سورة الشورى - الآية :15.
- 51 - سورة غافر - الآية:31.
- 52 - سورة النساء - الآية:58.
- 53 - سورة المائدة - الآية:8.
- 54 - سورة الانعام - الآية:156.
- 55 - سورة الحجرات - الآية :9.
- 56 - الحرية في الاسلام ص12- دار المغرب العربي-تونس-(وقد كان الشيخ الخضر حسين شيخا للزهر).
- 57 - سورة الاعراف - الآية: 157.
- 58 - سورة النساء - الآية: 92.
- 59 - سورة المائدة - الآية: 89.
- 60 - سورة المجادلة - الآية: 3.
- 61 - سورة البلد - الآية: 11-13.
- 62 - سورة البقرة - الآية: 256.
- 63 - انظر قصة الحضارة مجلد 13 ص13 ترجمة محمد بدران ط2، 1964.
- 64 - سورة النساء - الآية: 58.
- 65 - سورة النحل - الآية: 97.
- 66 - الحجرات 13(وانظر : الاستاذ توفيق علي وهبة : حقوق الانسان بين الاسلام والنظم العالمية نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية-مصر.
- 67 - سورة البقرة.
- 68 - سورة المائدة.
- 69 - سورة النحل - آية: 126-127.
- 70 - سورة آل عمران - الآية: 64.
- 71 - سورة سبأ - الآية: 25.

# التفكير الأسري



أ/د. محمد الدسوقي  
رئيس قسم الفقه والأصول - كلية الشريعة  
والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

## مقدمة:

فيجمع علماء الاجتماع على تباين مذاهبهم على أن الأسرة عماد المجتمع، وقاعدة الحياة البشرية، فإذا كانت قوية الدعائم كان المجتمع قويا، وإذا لم تكن كذلك كان المجتمع ضعيفا متخلفا، فالأسرة هي الخلايا التي يتألف منها جسم المجتمع وبصلاحها يصلح هذا الجسم، وبفسادها يدب اليه السقم والانحلال.

وهذه الأهمية البالغة للأسرة يفسر لنا الاهتمام الكبير الذي أولته التشريعات الإلهية والقوانين الوضعية لها، حفاظا على تماسكها وقوتها، فكل مشكلة تتعرض لها الأسرة ترتد على المجتمع كله، تقض مضجعه، وتهدد كيانه، وتنبذره بمختلف الأخطار والأضرار.

والإسلام وهو دين القوة والعزة والحياة الآمنة المستقرة قرر للأسرة المبادئ والقواعد التي تؤسس عليها، والتي تكفل لها حياة طيبة لا تعرف غير المودة والرحمة، والوئام والسلام، حتى تنهض برسالتها كما ينبغي أن تكون، وتظل دائما لبنة قوية تشد أزر المجتمع، وتدرأ عنه عوامل التخلف والفساد.

وقد كانت الأسرة عبر مراحل التاريخ الإسلامي وعصوره المختلفة تتمتع بقسط وافر من القيم الإسلامية، قيم الترابط والتراحم والتعاطف والتآلف، قيم الإحسان والتعاون على البر والتقوى، قيم احترام الكبير، والعطف على الصغير، قيم الإيثار والكلمة الطيبة وصلة الأرحام ومن ثم كان لها دورها الفاعل في حياة المجتمع الإسلامي وقوته وتطويره وحضارته.